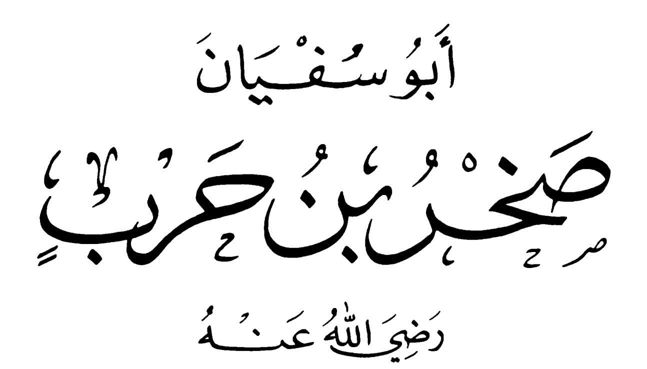
بُنَاة دَوْلَـةِ الإسْلام

- ١٧ -



بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنْ أَبو سُفْيَانَ رَجُلاً مَجْهُولاً، وَإِنَّما كانَ مِنْ أَعْلامِ العَصْرِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ، وَزُعَماءِ قُرَيْشٍ أَشْهَرِ قَبائِلِ العَرَبِ، غَيْرَ أَنَّهُ رَجُلٌ مَظْلُومٌ، وَلَعَلَّهُ مِنْ أَكْثَرِ الأَشْخَاصِ الَّذينَ ظَلَمَهُمُ التَّارِيخُ، وَقَدْ يَكُونُ ظُلْمُ أَبْنائِهِ وَدَوْلَتِهِم الَّتِي أَسَّسُوهَا بِسَبَبِهِ هُوَ، وَظُلْمُ التَّاريخِ إِغْفَالُ جَوانِبَ مِنْهُ فَتُسَبِّبُ الجَهْلَ بِالحَقِيقَةِ، وَلِهَذا الظُّلْمِ أَسْبَابٌ وَدَوَافِعُ، وَطُرُقٌ اتَّبَعَهَا المُغْرِضُونَ، وَلَهُ أَشْخَاصٌ بِأَعْيُنِهِمْ قَامُوا بِهَذا، وَخَطَّتْ أَيْدِيْهِمْ افْتِراءَاتٍ أَوْجَدُوهَا، وَأَغْفَلُوا كُلَّ جَوانِبِ الخَيْرِ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ العَظِيمِ، حَتَّى اتَّجَهَ التَّارِيخُ في خَطٍّ نَسِيَ مَعَهُ القُرَّاءُ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَفْكِيرُهُمْ وَحُكْمُهُمْ. وَلَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ هَذَا الظُّلْمِ:

١ ـ الخِلَافُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ بُطُونِ القَبَائِلِ قَبْلَ الإِسْلَامِ:

اخْتَلَفَ أَبْنَاءُ سَيِّدِ مَكَّةَ قُصَيِّ بنِ كِلابٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَجْمَعَ

النَّاسُ عَلَى الحَرْبِ، ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يُعْطَى بَنُو عَبْدِمَنَافٍ السِّقَايَةَ والرِّفَادَةَ، وَأَنْ تَكُونَ الحِجَابَةُ واللِّوَاءُ والنَّدْوَةُ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَرَضِيَ الفَرِيقَانِ.

وَكَمَا آخْتَلَفَ أَبْنَاءُ قُصَيٍّ آخْتَلَفَ أَبْنَاءُ عَبْدِمَنَافٍ، فَكَانَ بَنُو هَاشِمٍ فِي جِهَةٍ وَمَعَهُمْ بَنُو المُطَّلِبِ، وَكَانَ بَنُو عَبْدِشَمْسٍ يُنَافِسُ عَمَّه هَاشِماً، واستَمَرَّ النِّزَاعُ حَتَّى جَاءَ الإِسْلَامُ، وَبَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ عَلَى الزَّعَامَةِ والوَجَاهَةِ بَيْنَ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ وَبُطُونِها المُخْتَلِفَةِ.

وَعِنْدَمَا جَاءَ الإِسْلَامُ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ سَيِّدَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَحَدَ رِجَالَاتِ بَنِي عَبْدِشَمْسٍ، بَلْ وَأَحَدَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ المَعْرُوفِينَ.

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ المُنَافَسَةُ بَيْنَ هَذَيْنِ البَطْنَيْنِ مِنْ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ مِنْ جُمْلَةِ العَوَامِلِ الَّتِي جَعَلَتْ أَبَا سُفْيَانَ يَقِفُ هَذَا المَوْقِفَ مِنَ الدَّعْوَةِ، إِضَافَةً إِلَى مَصْلَحَةِ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ جَمِيعاً لِلْحِفَاظِ عَلَى مَرْكَزِهِمْ، وَوَجَاهَتِهِمْ، وَسَيْطَرَتِهِمْ، وَنُفُوذِهِمْ، وَتَسَلُّطِهِمْ عَلَى الأَرِقَّاءِ وَالمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِمَصْلَحَةِ سَادَتِهِمْ.

وَالنَّفْسُ البَشَرِيَّةُ فِيهَا عُنْصرُ الخَيْرِ كَمَا فِيهَا عُنْصُرُ الشَّرِّ، وَلْنَنْـظُرْ إِلَى بَعْضِ عَنَاصِـرِ الخَيْرِ فِي نَفْسِ هَـذَا الـرَّجُـلِ العَظِيمِ في حَدِيثِهِ مَعَ هِرَقْلَ كَبِيرِ الرُّومِ : «أَرْسَلَ هِرَقْلُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ مَعَ رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانُوا تُجَّاراً في المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَادَّ[1] فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فَأَتَوْهُ وَهُـوَ بِإِيْلِيَـاءَ[2]، فَدَعَـاهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبَاً بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبَاً. فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَـالَ لِتَرْجُمَـانِهِ: قُـلْ لَهُمْ، إِنِّي سَائِـلٌ هَذَا الرَّجُلَ، إِنْ كَـذَبَنِي فَكَذِّبُـوهُ. قَـالَ أَبُـو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ لَـوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبَاً لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ .

قُلْتُ: هُوَ ذُو نَسَبٍ فِينَا.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ .

قُلْتُ: لاَ.

---

(١) ماد: عاهد، إشارة إلى مدّة صلح الحديبية.

(٢) إيلياء: بيت المقدس.

قالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟.

قُلْتُ: لاَ.

قالَ: فَأَشْرَاف النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟.

فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟.

قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِيْنِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟.

قُلْتُ: لاَ.

قالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ ما قَالَ؟.

قُلْتُ: لاَ.

قالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟.

قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ في مُدَّةٍ لا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ؟.

قالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَلَمْ تُمَكِّنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئاً غَيْرَ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟.

قُلْتُ: نعَم.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟.

قُلْتُ: الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟.

قُلْتُ: يَقُولُ: آعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَآتْرُكُوا مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ والعَفَافِ والصِّلَةِ.

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في نَسَبِ مِنْ قَوْمِها. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذا القَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَتَأَسَّى بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ

اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعفاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُهُ حَقّاً فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ. وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ. فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُم دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي بُعِثَ بِهِ دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ. . . وَاخْتَلَفَ مَعَ رِجَالِهِ وَالأَسَاقِفَةِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

هَـذِهِ الجَوَانِبُ الخَيِّرَةُ قَدْ طَمَسَتْهَا جَوَانِبُ الشَّرِّ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ جَانِبِ الزَّعَامَةِ، والشُّحِّ والبُخْلِ.

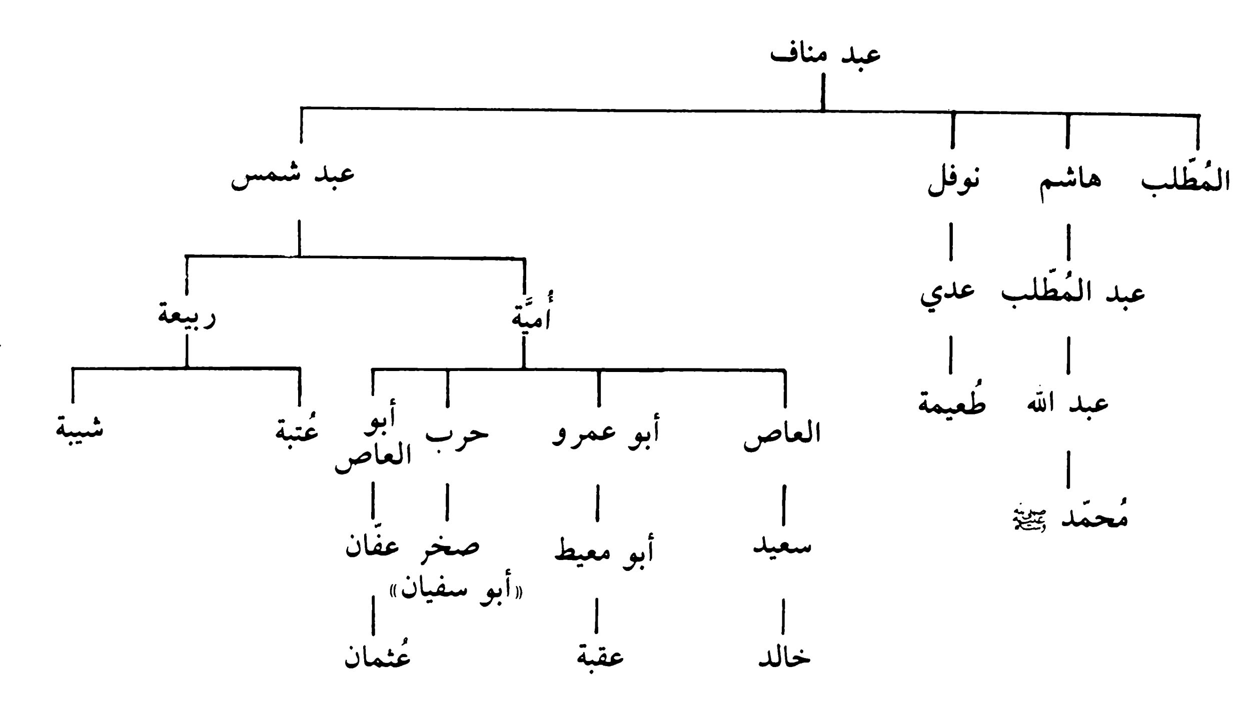
٢ ـ الزَّعَـامَـةُ:

كَانَ أَبُو سُفْيَانَ أَحَدَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ حَالَتْ زَعَامَتُهُمْ دُونَ رُؤْيَتِهِمْ لِلحَقِّ، وَمِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَنْفَرِدَ زَعِيمٌ عَنْ بَقِيَّةِ الأَعْيَانِ، فَأَكْثَرُهُمْ وَقَفُوا صَفّاً وَاحِداً فِي سَبِيلِ مَصَالِحِهِمْ الَّتي تَصَوَّرُوا أَنَّها تَضِيعُ لَوْ انْتَصَرَ الحَقُّ، وَفِي سَبِيلِ أَهْوَائِهِمْ الَّتِي عَرَفُوا أَنَّهُمْ يَفْقِدُونَهَا فِيمَا لَوْ نَجَحَتِ الدَّعْوَةُ الجَدِيدَةُ، وَهَذَا شَأْنُهُمْ جَمِيعاً. وَلْنَنْظُرْ إِلَى أَبِي طَالِبٍ عَبْدِمَنَافِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي وَقَفَ بِجَانِبِ ابنِ أَخِيهِ، وَدَافَعَ عَنْهُ بِكُلِّ طَاقَتِهِ، وَحُوصِرَ فِي الشِّعْبِ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَأَبْنَاءِ عُمُومَتِهِ بَنِي المُطَّلِبِ في سَبِيلِ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا فَعِنْدَمَا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ جَلَسَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ لَهُ: «يَا عَمُّ أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَشْفَعُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

قَالَ: وَمَا هِيَ يَا ابنَ أَخِي؟.

قَالَ: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ».

فَقَالَ: إِنَّكَ لِي نَاصِحٌ. واللَّهِ لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي بِها قُرَيْشٌ، فَيُقَالُ: جَزِعَ عَمُّكَ عِنْدَ المَوْتِ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ.


عبد مناف
المُطّلب
هاشم
نوفل
عبد شمس
عبد المُطّلب
عبد الله
مُحمّد ﷺ
عدي
طُعيمة
أُميّة
ربيعة
العاص
سعيد
خالد
أبو عمرو
أبو معيط
عقبة
حرب
صخر
«أبو سفيان»
أبو العاص
عفّان
عُثمان
عُتبة
شيبة

هَـذِهِ حَالُ الـزَّعَامَـةِ تُعْمِي وَتُصِمُّ، وَتُبْعِـدُ عَنِ الحَقِّ، وَتَتَشَبَّثُ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ سَوَاءٌ أَكَانَتْ عَلَى بَاطِلٍ أَمْ عَلَى غَيْرِهِ.

وَلَرُبَّما لَوْ كَانَ زَعِيماً وَحْدَهُ لأَمْكَنَ الوُصولُ إِلَى دَاخِلِ نَفْسِهِ وَتَزْكِيَةُ عُنْصُرِ الخَيْرِ فِيهَا، وَجَذْبُهُ نَحْوَ الطَّرِيقِ السَوِيِّ، وَعِنْدَهَا يَتْبَعُهُ النَّاسُ جَمِيعَاً، وَهَذَا مَا يَحْدُثُ بَيْنَ القَبَائِلِ الَّتِي لَهَا زَعِيمٌ وَاحِدٌ فَإِذَا سَارَ فِي طَرِيقٍ تَبِعَتْهُ القَبِيلَةُ كُلُّهَا، إِلَّا أَنَّ تَعَـدُّدَ الزُّعَمَاءِ قَدْ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَزْدَادُ فِي مَوَاقِفِهِ وَثَبَاتِهِ عَلَى مَـا وَجَدُوا عَلَيْـهِ آبَاءَهُمْ، وَأَنَّ فِي ذَلِـكَ القُـوَّةَ وَالحَقَّ وَالخَيْرَ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَكُنَّا نَرَى هَذَا يَحْدُثُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ، فَإِذَا لاَنَ أَحَدُهُمْ قَلِيلاً، أَوْ فُتِحَتْ نَـافِذَةٌ مِنْ نَـوَافِذِ الخَيْـرِ عِنْدَهُ أَسْرَعَ بَقِيَّةُ الزُّعَمَاءِ، لإِغْلاَقِهَا بِاتِّهَامِهِ بِالجُبْنِ وَالضَّعْفِ، أَوْ أَنَّهُ صَبَأَ حَتَّى يَعُودَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَإِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَتَسْتَمِرُّ النَّفْسُ فِي غَيِّهَا، وَتَطِيشُ الأَحْلاَمُ، وَيَبْقَى صَمَمُهَا.

٣ ـ الشُّحُّ وَالبُخْلُ:

لَقَدْ كَانَ أَبُـو سُفْيَانَ بَخِيـلاً شَحِيحَاً، يُقَلِّلُ عَلَى أَهْلِهِ، وَيُمْسِكُ عَنْ عِيَالِهِ، حَتَّى تَضْطَرَّ زَوْجَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ إِلَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَتُخْفِي عَنْهُ مَا تَفْعَلُ.

وَيَبْدُو ذَلِكَ فِي بَيْعَةِ النِّسْوَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِيهِنَّ زَوْجُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فَلمَّا أَنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ»، قَالَتْ هِنْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبا سُفْيَانَ رَجُلٌ مَسِّيكٌ فَهَلْ عَليَّ حَرَجٌ أَنْ أُصِيبَ مِنْ طَعَامِهِ مِنْ غَيْرِ إِذْنِهِ؟ فَرَخَّصَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ فِي الرَّطِبِ وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهَا فِي اليَابِسِ.

وَهَذَا البُخْلُ يَجْعَلُهُ يَحْرِصُ عَلَى الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تُسَخِّرُ لَهُ المُسْتَضْعَفِينَ وَالأَرِقَّاءِ فَيَعْمَلُونَ لَهُ، وَيَأْخُذُ أَجْرَهُمْ، وَيَتْعَبُونَ وَيَسْتَفِيدُ هُوَ مِنْ تَعَبِهِمْ، وَيَكِدُّونَ وَيَأْكُلُ مَا يَحْصُلُون عَلَيْهِ.

وَتَزَوَّجَ أَبُو سُفْيَانَ عِدَّةَ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ: زَيْنَبُ بِنْتُ نَوْفَلٍ الكِنَانِيَّةُ وَأَنْجَبَتْ لَهُ يَزِيدَ[١] وَعَمْراً[٢] وَأُمَّ حَبِيبَةَ الَّتِي أَسْلَمَتْ، وَهَاجَرَتْ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِها عُبَيْدِاللَّهِ بنِ جَحْشٍ وَالَّذِي ارْتَدَّ هُنَاكَ فَفَارَقَتْهُ، وَأَصْبَحَتْ بَعْدَئِذٍ مِنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، زَوَّجَهَا النَجَاشِيُّ فِي الحَبَشَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي مَهْجَرِهِ فِي المَدِينَةِ. وَتَزَوَّجَ أَبُو سُفْيَانَ صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ أُمِينَةَ، وَتَزَوَّجَ هِنْدَ بِنْت

(١) يزيد: أسلم يوم الفتح.

(٢) عمرو: أُسِرَ يوم بدر، ومات بعدها مشركاً.

عُتْبَةَ وَأَنْجَبَتْ لَهُ حَنْظَلَةَ[1] وَمُعَاوِيَةَ[2]، وَعَزَّةَ[3]، وَجُوَيْرِيَّةَ، وَأُمَّ الحَكَمِ، وَتَزَوَّجَ بِنْتَ حَارِثَةَ بنِ الأَوْقَصِ، وَوَلَدَتْ لَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ الَّتِي تَزَوَّجَهَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَزَوَّجَ صَفِيَّةَ بِنْتَ أَبِي عَمْرِو بنِ أُمَيَّةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ هِنْدَاً وَصَخْرَةَ. وَتَزَوَّجَ لُبَابَةَ بِنْتَ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ، وَوَلَدَتْ لَهُ مَيْمُونَةَ الَّتِي تَزَوَّجَهَا عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ثُمَّ خَلَفَهُ عَلَيْهَا المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ الثَّقَفِيُّ. وَهَكَذَا كَانَ لأَبِي سُفْيَانَ أَرْبَعَةُ ذُكُورٍ، وَتِسْعُ بَنَاتٍ.

وَلْنَنْظُرُ إِلَى بَعْضِ مَوَاقِفِ أَبِي سُفْيَانَ العِدَائِيَّةِ مِنَ الإِسْلَامِ قَبْلَ إِسْلَامِهِ إِضَافَةً إِلَى مَوَاقِفِهِ مَعَ بَاقِي زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ.

هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَصْحَابُهُ وَبَدَؤُوا بِدِرَاسَةِ المَنْطِقَةِ الَّتِي تَمُرُّ

---

(١) حنظلة: قتل يوم بدر كافراً.

(٢) معاوية: أسلم عام الحديبية، وكتم إسلامه، وأظهره يوم الفتح.

(٣) عزّة: أسلمت قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة، وزوجها أهلها من علي بن أمية بن خلف ثم فارقته عندما علمت أنه منافق، وقد قتل في بدر كافراً، وهاجرت عزّة على غير علم من أهلها.

فِيهَا قَوَافِلُ قُرَيْشٍ ذَاهِبَةً إِلَى الشَّامِ وَآيِبَةً، لأَنَّها سَتَكُونُ المَيْدَانَ الَّذِي يَلْتَقُونَ فِيهِ مَعَهُمْ، والَّذِي سَيَكُونُ سَاحَةَ مَعَارِكَ مُرْتَقَبَةٍ، لِذَا يَجِبُ مَعْرِفَةُ أَرْضِهَا وَدِرَاسَتُهَا، وَمَعْرِفَةُ قَبَائِلِهَا الَّتِي يَجِبُ مَنْعُهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ مَعَ قُرَيْشٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَ المُسْلِمِينَ، فَحِيادُهَا نُقْطَةٌ مُهِمَّةٌ، إِذْ لِقُرَيْشٍ هَيْبَةٌ لَدَى قَبَائِلِ العَرَبِ كُلِّهَا بِسَبَبِ مَسْكَنِهَا فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وَحَجِّ القَبَائِلِ كُلِّهَا إِلَيْهَا.

كَانَتْ قَافِلَةٌ لأَبِي سُفْيَانَ تَتَحَرَّكُ بِاتِّجَاهِ الشَّامِ، وَخَرَجَ لَهَا المُسْلِمُونَ وَلَكِنْ لَمْ يَظْفَرُوا بِهَا إِذ فَاتَتْهُمْ، فَعَادَ المُسْلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِاللَّهِ وَسَعِيدَ بنَ زَيْدٍ لِيَنْتَظِرَا عَوْدَتَهَا وَإِخْبَارِ المُسْلِمِينَ بِذَلِكَ.

وَآبَتِ القَافِلَةُ، وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَى مُنْتَظِرَيْهَا اللَّذَيْنِ نَقَلا بِدَوْرِهِمَا الخَبَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَخَرَجَ المُسْلِمُونَ لَهَا بِإِمْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ أَنْ طَلَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ الخُرُوجَ لَهَا قَائِلاً لَهُمْ: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ، فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُنفِلُكُمُوهَا». فَانْتَدَبَ النَّاسَ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ، وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْقَى حَرْباً، وَأَنَّ القَافِلَةَ لَا يَعْدُو رِجَالُهَا الأَرْبَعِينَ، فَلَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى النَفِيرِ العَامِّ، أَوِ العَدَدِ الكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ ثَلاثُمِائَةٍ وَنَيِّفٍ.

كَانَ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ اقْتَرَبَ مِنَ الحِجَازِ يَتَجَسَّسُ الأَخْبَارَ، وَيَتَحَسَّسُ مِنَ الرُّكْبَانِ، يَسْأَلُ مَنْ لَقِيَ مِنْهُمْ حَتَّى عَلِمَ أَنَّ مُحَمَّداً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِ اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ لِلتَّعَرُّضِ لِلقَافِلَةِ، فَاسْتَأْجَرَ عِنْدَهَا رَجُلاً مِنْ بَنِي غِفَارٍ هُوَ ضَمْضَمُ بنُ عَمْرٍو، وَبَعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ يَطْلُبُ نَجْدَةَ أَهْلِهَا، وَالخُرُوجَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ وَعِيرِهِمْ، فَخَرَجَ ضَمْضَمُ سَرِيعاً إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَقَفَ بِبَطْنِ الوَادِي وَقَدْ جَدَعَ بَعِيرَهُ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ.. اللَّطِيمَةَ.. اللَّطِيمَةَ، أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، لَا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا، الغَوْثَ الغَوْثَ.

تَجَهَّزَتْ قُرَيْشٌ سِرَاعاً وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهَا إِلَّا مَنِ اسْتَأْجَرَ مَكَانَهُ كَأَبِي لَهَبٍ، وَانْطَلَقَتْ نَحْوَ المَدِينَةِ، وَأَمَّا أَبُو سُفْيَانَ فَقَدْ تَرَكَ طَرِيقَهُ المَسْلُوكَةَ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ السَّاحِلِ وَنَجَا بِعِيرِهِ.

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ، وَالْتَقَتْ قُرَيْشٌ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ، وَكَانَتِ الدَائِرَةُ عَلَيْهَا فَانْهَزَمَتْ مُخَلِّفَةً وَرَاءَهَا سَبْعِينَ قَتِيلاً بَيْنَهُمْ أَشْرَافُهَا، مِنْهُمْ حَنْظَلَةُ بنُ أَبي سُفْيَانَ، وعُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ أَبُو زَوْجِهِ هِنْدٍ، وَعَمُّهَا شَيْبَةُ، وَأَخُوهَا الوَلِيدُ. كَمَا أُسِرَ سَبْعُونَ آخَرُونَ مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ أَبي سُفْيَانَ و. . .

وَبَعْدَ هَذِهِ المَعْرَكَةِ أَصْبَحَ أَبُو سُفْيَانَ شَيْخَ قُرَيْشٍ وَزَعِيمَهَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يُقَاتِلَ مَا قَاتَلَ الأَشْرَافُ مِنْ قُرَيْشٍ قَبْلَهُ، وَأَنْ يَتَحَمَّسَ لِلأَمْرِ، وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ مَقْتَلَهُمْ كَانَ بِسَبَبِهِ وَبِسَبَبِ إِنْقَاذِ حَيَاتِهِ، وَقَادَ قُرَيْشاً في هَذِهِ الطَّرِيقِ.

قَادَ قُرَيْشاً فِي أُحُدٍ وَحَقَّقَ لَهَا بَعْضَ النَّصْرِ المَادِّيِّ، وَأَعَادَ لَهَا شَيْئاً مِنْ هَيْبَتِهَا وَمَعْنَوِيَّاتِهَا، وَلْنَنْظُرْ إِلَى مَوْقِفِهِ إِثْرَ تِلْكَ المَعْرَكَةِ. . . وَالَّذِي يُثِيرُ حَفِيظَةَ المُؤْمِنِينَ.

مَرَّ بِالحَمْزَةِ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدِ اسْتُشْهِدَ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ فِي شَدْقِهِ بِزُجِّ الرُّمْحِ ، وَيَقُولُ: ذُقْ عُقَقُ، وَعِنْدَمَا أَرَادَ الانْصِرَافَ مِنْ أُحُدٍ، أَشْرَفَ عَلَى الجَبَلِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَنْعَمْتَ فَعَالِ ، إِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ يَوْمٌ

بِيَـوْمٍ ، أُعْلِ هُبَـلْ، أَيْ أَظْهِـرَ دِينَـكَ، فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ، فَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ، لَا سَوَاءَ قَتْلَانَا في الجَنَّةِ، وَقَتْلاكُمْ فِي النَّارِ». فَلَمَّا أَجَابَ عُمَرُ أَبَا سُفْيَانَ، قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا عُمَرُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعُمَرَ: «إِئْتِهِ فَانْظُرْ مَا شَأْنُهُ»، فَجَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ: أَنْشِدُكَ اللَّهَ يَا عُمَرُ، أَقَتَلْنَا مُحَمَّداً؟ قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ لَا، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الآنَ.

قَالَ: أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنِ ابْنِ قُمَيْئَةَ وَأَبَرُّ، لِقَوْلِ ابْنِ قُمَيْئَةَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ مُحَمَّداً[1]. ثُمَّ نَادَى أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي قَتْلَاكُمْ مُثَلٌ، وَاللَّهِ مَا رَضِيْتُ، وَمَا سَخِطْتُ، وَمَا نَهَيْتُ، وَمَا أَمَرْتُ. وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعَامِ القَابِلِ . . .

قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، لأَحَـدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «قُلْ: نَعَمْ، هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ».

وَخَرَجَ بِقُرَيْشٍ فِي العَامِ المُقْبِلِ بِاتِّجَاهِ بَدْرٍ إِلَّا أَنَّهُ عَادَ مِنَ الطَّرِيقِ مِنْ عُسْفَانَ، وَلَمْ يَحْدُثْ قِتَالٌ ذَلِكَ العَامِ.

---

(١) قتل ابن قميئة ـ قبحه الله ـ مصعب بن عمير، رضي الله عنه، وإنه ليظنّ أنه محمد، صلى الله عليه وسلم.

ثُمَّ قَامَ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ، وَيَجْمَعُ القَبَائِلَ لِضَرْبِ المَدينَةِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الخَنْدَقِ، إِلَّا أَنَّهُ فَشِلَ وَأَحْزَابُهُ فِيهَا، وَانْسَحَبَ يَجُرُّ ذُيُولَ الفَشَلِ وَالخُسْرَانِ.

ثُمَّ كَانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنِ اعْتَدَتْ بَنو بَكْرٍ حَلِيفَةُ قُرَيْشٍ وَبِدَعْمٍ مِنْهَا عَلَى قَبِيلَةِ خُزَاعَةَ حَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَافَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يُنْجِدَ المُسْلِمُونَ خُزَاعَةَ، لِذَا ذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى المَدِينَةِ لِيُؤَكِّدَ الصُّلْحَ، وَيَزِيدَ فِي مُدَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَا يَتَنَاسَبُ مَعَ زَعَامَتِهِ فَابْنَتُهُ أُمُّ المؤْمِنِينَ رَمْلَةُ (أُمُّ حَبِيبَةَ) رَفَعَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ تَحْتِهِ، وَلَمْ يَجِدْ أُذُناً صَاغِيَةً عَنْدَ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا عِنْدَ عُمَرَ، وَلَا عِنْدَ عَلِيٍّ، الأَمْرَ الَّذِي جَعَلَهُ يَعُودُ خَائِباً، وَيَشْعُرُ أَنَّ زَعَامَتَهُ لَمْ تُفِدْهُ، وَشَعَرَ عِنْدَهَا بِقِيمَتِهِ الحَقِيقِيَّةِ، وَبَدَأَتْ تَتَغَيَّرُ فِكْرَةُ الزَّعَامَةِ فِي ذِهْنِهِ.

لَمْ يَلْبَثْ أَنْ سَارَ المُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ رَسُولِهِمْ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نَحْوَ مَكَّةَ، وَشَعَرَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهَا لَا قِبَلَ لَهَا بِالمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ رَأَتْ مَا رَأَتْ مِنْ قُوَّةِ أَصْحَابِهِ وَكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ، وَالتَقَى العَبَّاسُ بنُ عَبْدِالمُطَّلِبِ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ،

وَالتقى بِرَسُولِ اللَّهِ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَانْطَلَقَ مَعَهُ، وَهُوَ يَخْشَى أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ عَنْوَةً، وَالتقى بِأَبِي سُفْيَانَ فَأَخَذَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَأْمَنَهُ، وَفِي اليَوْمِ التَّالِي التَقَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»

قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرَهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئاً بَعْدُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَّا هَذِهِ وَاللَّهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الآنَ شَيْئاً.

فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: وَيْحَكَ أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ. فَشَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ فَأَسْلَمَ.

٤ ـ عَدَمُ وُضُوحِ الإِيمَانِ بَعْدَ الإِسْلَامِ :

وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ أَسْلَمَ ظَاهِرَاً خَوْفَاً مِنَ القَتْلِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ دَخَلَ الإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ بِشَكْلٍ صَحِيحٍ ، فَبَعْدَ إِسْلَامِهِ قَالَ العَبَّاسُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئاً، قَالَ: «نَعَمَ. . . مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ».

وَلَمَّا مَرَّتِ القَبَائِلُ أَمَامَ العَبَّاسِ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ حَسْبَ أَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِلْعَبَّاسِ : مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ وَلَا طَاقَةٌ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الفَضْلِ ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الغَدَاةَ عَظِيماً، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَنَعَم إِذَنْ.

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالمُسْلِمُونَ مَكَّةَ، وَأَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَهْلَهَا وَقَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ. . .».

وَلَمْ تَطُلِ المُدَّةُ حَتَّى خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى قِتَالِ هَوازِنَ وَثَقِيفٍ، وَخَرَجَ مَعَهُ طُلَقَاءُ مَكَّةَ،

وَلَكِنَّ المُسْلِمِينَ فُوجِئُوا بِأَعْدَائِهِمْ يَكْمِنُونَ لَهُمْ وَقَدْ شَدُّوا عَلَيْهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَانْشَمَرَ النَّاسُ رَاجِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا مَنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ قِلَّةٌ، وَقَدْ شَمِتَ أَبُو سُفْيَانَ بِهَذِهِ الهَزِيمَةِ - عَلَى مَا يَظْهَرُ - وَقَالَ: لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ البَحْرِ، وَإِنَّ الأَزْلَامَ لَمَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَادَى المُسْلِمِينَ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَتَجَمَّعُوا حَوْلَهُ، وَشَدُّوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ جَمَعُوا الغَنَائِمَ الكَثِيرَةَ، وَسَارُوا إِلَى الطَّائِفِ فَحَاصَرُوهَا، ثُمَّ عَادُوا وَوَزَّعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الغَنَائِمَ وَأَعْطَى المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرَ لَهُمْ، وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ، وَابْنَاهُ يَزِيدُ، وَمُعَاوِيَةُ إِذْ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ نَاقَةٍ وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَةً مِنَ الدَّرَاهِمِ، وَيَبْدُو بَعْدَهَا أَنَّ إِسْلَامَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ حَسُنَ وَكَذَلِكَ إِسْلَامُ ابْنِهِ يَزِيدَ، أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَكَانَ قَدْ دَخَلَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ مُنْذُ عَامِ الحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ عَنْ أَبِيهِ، وَإِنْ كَانَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحْيَانًا فَيَقُولُ لَهُ: يَزِيدُ أَفْضَلُ مِنْكَ، هُوَ عَلَى دِينِي، وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ دِينِ أَبِيكَ، وَفَقَدَ أَبُو سُفْيَانَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فِي الطَّائِفِ، وَعِنْدَمَا عَادَ المُسْلِمُونَ إِلَى مَكَّةَ مَكَثُوا فِيهَا قَلِيلًا، ثُمَّ انْطَلَقَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ إِلَى المَدِينَةِ، وَبَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ

فِي مَكَّـةَ ثُـمَّ انْطَـلَـقَ إلى نَـجْـرَانَ حَيْثُ وَلَّاهُ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، تِلْكَ الوِلَايَـةَ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُـوُفِّيَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، بَعْـدَ أَقَـلَّ مِنْ ثَـلَاثِ سَنَواتٍ. وَارْتَدَّ النَّاسُ، وَثَبَتَ أَبُو سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ مَنْ ثَبَتَ عَلَى إِيمَانِهِ.

وَعَقَدَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَلْوِيَةَ الفَتْحِ، وَكَانَ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمِيراً عَلَى أَحَدِ الجُيُوشِ الَّتِي سَارَتْ إلى الشَّامِ، وَقَالَ الصِّدِّيقُ لِلأُمَرَاءِ: إن اجْتَمَعْتُمْ فِي كَيْدٍ فَيَزِيدُ عَلَى النَّاسِ، وَإِنْ تَفَرَّقْتُمْ فَمَنْ كَانَتِ الوَقْعَةُ مِمَا يَلِي عَسْكَرَهُ فَهُوَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَشَيَّعَهُ أَبُـو بَكْرٍ مَاشِياً وَقَالَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ خُطَايَ هذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُوصِيهِ.

وَكَـانَ أَبُو سُفْيَـانَ فِي جَيْشِ ابنِهِ يَـزِيدَ، وَكَـانَتْ جِهَةُ الجَيْشِ دِمَشْقَ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ اليَرْمُوكِ فَقَالَ لابْنِهِ يَزِيـدَ: يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ فَإِنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ بِهَذَا الوَادِي مِنَ المُسْلِمِينَ إلَّا مَحْفُوفاً بِالقِتَالِ، فَكَيْفَ بِكَ وَبِأَشْبَاهِكَ الَّذِينَ وُلُّوا أُمُورَ المُسْلِمِينَ؟ أُولَئِكَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالصَّبْرِ وَالنَّصِيحَةِ،

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بُنَيَّ، وَلَا يَكُونَنَّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ بِأَرْغَبَ فِي الأَجْرِ وَالصَّبْرِ فِي الحَرْبِ، وَلَا أَجْرَأَ عَلَى عَدُوِّ الإِسْلَامِ مِنْكَ، فَقَالَ: أَفْعَلُ - إِنْ شَاءَاللَّهُ -[1].

وَقَفَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَ اليَرْمُوكِ يَحُثُّ المُسْلِمِينَ عَلَى القِتَالِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ أَنْتُمُ العَرَبُ وَقَد أَصْبَحْتُمْ فِي دَارِ العَجَمِ مُنْقَطِعِينَ عَنِ الأَهْلِ، نَائِينَ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَأَمْدَادِ المُسْلِمِينَ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَصْبَحْتُمْ بِإِزَاءِ عَدُوٍّ كَثِيرٍ عَدَدُهُ، شَدِيدٍ عَلَيْكُمْ حَنَقُهُ، وَقَدْ وَتَرْتُمُوهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، وَاللَّهِ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ القَوْمِ، وَلَا يَبْلُغُ بِكُمْ رِضْوَانَ اللَّهِ غَدَاً إِلَّا بِصِدْقِ اللِّقَاءِ وَالصَّبْرِ فِي المَوَاطِنِ المَكْرُوهَةِ، أَلَا وَإِنَّهَا سُنَّةٌ لَازِمَةٌ، وَأَنَّ الأَرْضَ وَرَاءَكُمْ، بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَجَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ صَحَارَى وَبَرَارِي، لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا مَعْقِلٌ وَلَا مَعْدِلٌ إِلَّا الصَّبْرَ وَرَجَاءَ مَا وَعَدَ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرُ مُعَوَّلٍ، فَامْتَنِعُوا بِسُيُوفِكُمْ وَتَعَاوَنُوا وَلْتَكُنْ هِيَ الحُصُونُ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى النِّسَاءِ فَوَصَّاهُنَّ، ثُمَّ عَادَ فَنَادَى: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الإِسْلَامِ حَضَرَ مَا تَرَوْنَ فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ،

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَامَكُمْ، وَالشَّيْطَانُ وَالنَّارُ خَلْفَكُمْ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مَوْقِعِهِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ[1]..

وَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ يَقِفُ عَلَى كُلِّ كُرْدُوسٍ وَيَقُولُ: اللَّهَ... اللَّهَ، إِنَّكُمْ ذَادَةُ العَرَبِ وَأَنْصَارُ الإِسْلَامِ، وَإِنَّهُمْ ذَادَةُ الرُّومِ وَأَنْصَارُ الشِّرْكِ، اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِكَ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ عَلَى عِبَادِكَ[2].

قَالَ سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ: هَدَأَتِ الأَصْوَاتُ يَوْمَ اليَرْمُوكِ فَسَمِعْنَا صَوْتاً يَكَادُ يَمْلأُ العَسْكَرَ يَقُولُ: يَا نَصْرَ اللَّهِ اقْتَرِبْ. الثَّبَاتَ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، قَالَ: فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ أَبُو سُفْيَانَ تَحْتَ رَايَةِ ابنِهِ يَزِيدَ[3].

وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِي اليَرْمُوكِ، وَفَقَدَ أَبُو سُفْيَانَ عَيْنَهُ الثَّانِيَةَ، وَعَاشَ بِذَلِكَ بَعْدَهَا كَفِيفاً، مُنْقَطِعاً لِلْعِبَادَةِ، يَخْشَى مَا سَبَقَ مِنْهُ أَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَالإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَلَقَدْ فَعَلَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ مَا فَعَلَ، وَمِنْهُمْ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي يَقُولُ عَنْ إِسْلَامِهِ وَبَيْعَتِهِ

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير جـ ٧ ص ٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر نفسه.

لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ: وَبَايَعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ مَا أَوْضَعْتُ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ: «إِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بنَ الوَلِيدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيْهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ»[1].

عَاشَ أَبُو سُفْيَانَ بَعْدَ ذَلِـكَ كَفِيفَاً فِي المَـدِينَةِ المُنَـوَّرَةِ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ سَنَةً مُنْصَرِفاً إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى تُوُفِّيَ عَامَ ٣١ هـ فِي أَيَّامِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ عُمْـرٍ يَزِيدُ عَلَى ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٤ ـ الهُجُومُ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَقَدْ نَشَأَ بِسَبَبِ:

أ ـ مَوْقِفِ أَبِي سُفْيَانَ مِنَ الدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ قَبْـلَ فَتْحِ مَكَّةَ وَدُخُولِهِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَكَذَلِـكَ مَوْقِفُ زَوْجِـهِ هِنْدٍ بِنْتِ عُتْبَةَ وَعَدَاؤُهَا الصَّارِخُ وَاللَّئِيمُ، فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَنَهْشُهَا كَبِدَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَكَذَلِكَ إِلَى مَوْقِفِ عَدَدٍ مِنْ زُعَمَـاءِ بَنِي أُمَيَّةَ قَبْـلَ إِسْلاَمِهِمْ. وَلَكِنَّ الإِسْلامَ قَدْ جَبَّ كُلَّ هَذَا.

---

(١) طبقات ابن سعد: جـ ٤ ص ٢٥٢.

ب ـ الفِتْنَـةِ الَّتِي حَـدَثَتْ أَيَّـامَ عُثْمَـانَ بنِ عَفَّـانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاتِّهَامِهِ بِالضَّعْفِ، وَتَقْرِيبِ بَنِي أُمَيَّةَ وَالصَّدِّ عَنْ بَنِي هَاشِمٍ.

وَفِي هَذَا افْتِرَاءٌ عَلَى عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاجْتِهَادٌ مِنْهُ فِي بَعْضِ الجَوَانِبِ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ مَعَ مُلاَحَظَةِ اخْتِيَارِ القَوِيِّ الأَمِينِ، وَعَـدَمِ الاسْتِغْنَـاءِ عَنْ أَهْـلِ العِلْمِ وَالشُّـورى فِي مَـدِينَـةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

جـ ـ الخـلافِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَـةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَـدْ شَقَّ عَلَى النَّاسِ هَـذَا كَثِيراً، لِمَـا لِعَلِيٍّ مِنَ فَضْـلٍ، وَقَرَابَةٍ، وَحُسْنِ بَلاءٍ، وَعِلْمٍ لاَ يُسَاوِيهِ أَحَدٌ فِي عَصْرِهِ، وَهَذَا لاَ يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ مُسْلِمَانِ، إِلاَّ أَنَّ لِكُلٍّ مِنْ هَذَينِ الصَّحَابِيَّيْنِ اجْتِهَـادَهُ وَعَمَلَهُ الَّـذِي يَـرَى فِيـهِ صَـلاَحَ الأُمَّـةِ وَالنَّصِيحَـةَ لِلْمُسْلِمِينَ.

فَكَانَ رَأْيُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ هَيْبَةَ الدَّوْلَةِ تَضِيعُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ الإِمَامُ عَزْلَ وَالٍ، وَلاَ بُدَّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ تَهْيِئَـةِ الوَضْـعِ حَتَّى يَسْتَطِيـعَ أَنْ يَـطْرُدَ المُشَـاغِبِينَ، وَيُقِيمَ الحُدُودَ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ وَيُطَالِبُ مُعَاوِيَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ،

ذَلِكَ بِسُرْعَةٍ وَيَرْفُضُ البَيْعَةَ إِلاَّ إِذَا تَـمَّ ذَلِكَ. عَلَى حِين يَرَى عَلِيٌّ أَنَّهُ لاَ بُدَّ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَخْذِ البَيْعَةِ مِنَ الوُلاَةِ كَافَّةً، وَإِنَّ تَعَنُّـتَ الوُلاَةِ لَهُوَ فَسْـحُ المَجَالِ لإِبْقَـاءِ المُشَاغِبِينَ فِي المَدِينَةِ. ثُمَّ إِنَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَصْحَابَ الفِتْنَةِ هُمُ المُسَيْطِرُونَ عَلَى المَدِينَةِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَتَحَكَّمُونَ بِشُؤُونِهَا بِسَبَبِ هَـذِهِ الأَوْضَاعِ. وَيَنْـطَلِقُ رَأْيُ عَلِيٍّ ـ كَعَـادَتِـهِ ـ مِنَ الإِيمَانِ العَمِيقِ والصَّلاَبَةِ فِي الدِّينِ.

أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَيَرَى أَنَّهُ وَالٍ لاَ أَكْثَرَ، وَلَكِنْ مِنَ الضَّرُورِيِّ بِمَكَانٍ بَقَاءَهُ فِي الشَّامِ حَيْثُ خَبِرَ الرُّومَ، وَعَرَفَ أُمُورَهُمْ وإِذَا عَابَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ أَقَرَّهُ عَلَى ذَلِكَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَذَهَابُهُ عَنْهَا ضَيَاعٌ لِثُغُورِهَا. ثُمَّ إِنَّ الوَضْعَ فِي المَدِينَةِ لَمْ يَسْتَقِرَّ فَأَصْحَابُ الفِتْنَةِ هُمُ الَّذِينَ نَصَّبُوا عَلِيّاً، وَإِنَّ عَدَداً مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ لَمْ يُبَايِعِ الخَلِيفَةَ الجَدِيدَ عَلِيّاً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الشُّـورَى، فَقَدِ امْتَنَـعَ عَنِ البَيْعَةِ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ عُمَـرَ، وَأُسَامَـةُ بنُ زَيْدٍ، وَصُهَيْبٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَحَسَّانُ بنُ ثَـابِتٍ، وَزَيدُ بنُ ثَابِتٍ، وَكَعْبُ بنُ مَالِـكٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَـةَ، وَالنُّعْمَان بنُ بَشِيـرٍ، وَرَافِعُ بنُ خُـدَيجٍ، وَسَلَمَـةُ بنُ وَقْشٍ، وَأَبُـو سَعِيـدٍ الخُدْرِيُّ مِنَ الأَنْصَارِ. وَإِنَّ الحُدُودَ قَدْ أُهْمِلَتْ لِعَدَمِ إِقَامَتِهَا

عَلَى مَنْ قَتَلُوا الخَلِيفَةَ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعِنْدَمَا يَتِمُّ البَيْعَةُ وَتُقَامُ حُدُودُ اللَّهِ يَكُنْ أَوَّلَ المُبَايِعِينَ.

ثُمَّ جَرَتِ الحُرُوبُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الجَمَلِ، وَمَعْرَكَةُ صِفِّينَ وَتُعَدَّانِ مِنْ أَصْعَبِ المَعَارِكِ وَأَكْبَرِهَا أَثَراً فِي الخِلَافِ الَّذِي نَشَأَ فِي التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ، وَلَا يَزَالُ الحَدِيثُ يَدُورُ عَنْهُمَا.

د ـ الحَوَادِثِ الَّتِي وَقَعَتْ أَيَّامَ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ: وَهِيَ حَادِثَةُ كَرْبَلَاءَ الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَوَقْعَةُ الحَرَّةِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ.

هـ ـ الحَوَادِثِ الَّتِي وَقَعَتْ أَيَّامَ عَبْدِالمَلِكِ بنِ مَرْوَانَ: وَهِيَ انْتِهَاكُ البَيْتِ الحَرَامِ، وَمَقْتَلُ عَبْدِاللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَشِدَّةُ الحَجَّاجِ.

و ـ وِلَايَةِ العَهْدِ الَّتِي بَدَأَهَا مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَرْكَ مَبْدَأَ الشُّورَى الإِسْلَامِيَّ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ مِنْ قَبْلُ.

ز ـ ضَعْفِ بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ المُتَأَخِّرِينَ. وَلَا مَجَالَ الآن لِلْوُقُوفِ أَمَامَ هَذِهِ الاتِّهَامَاتِ وَدِرَاسَتِهَا بِشَكْلٍ مُفَصَّلٍ، وَإِعْطَاءِ الرأيِ فِيهَا.

كُلُّ هَذَا جَعَلَ الهُجُومَ يَنْصَبُّ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَرَأْسِ الأُسْرَةِ السُّفْيَانِيَّةِ، وَهُوَ أَبُو سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَخَاصَّةً أَنَّ التَّارِيخَ قَدْ دُوِّنَ فِي أَيَّامِ خُصُومِهِمْ السِّيَاسِيِّينَ مِنْ بَنِي العَبَّاسِ، الأَمْرُ الَّذِي سَمَحَ للأَيْدِي أَنْ تَلْعَبَ فِيهِ، وَتَكْتُبَ حَسْبَ هَوَاهَا.

وَلَقَدِ اتَّخَذَ الهُجُومُ شَكْلَ رِوَايَاتٍ مُغْرِضَةٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَدَسٍّ عَلَى الأَدَبِ حَتَّى غَدَا تَارِيخُنَا يَسْتَقِي مَصْدَرَهُ الرَّئِيسيَّ مِنَ الأَدَبِ لِكَثْرَةِ مَا انْتُحِلَ مِنَ الشِّعْرِ، وَمَا وُضِعَ مِنْ قَصَصٍ، وَمَا نُسِبَ مِنْ حِكَمٍ وَكِتَابَاتٍ، وَخُطَبٍ لأَشْخَاصٍ تَبَرَّؤُوا مِنْهَا وَلاَ عِلْمَ لَهُمْ بِهَا، بَلْ تُوُفُّوا قَبْلَ وَضْعِهَا بِعَشَرَاتِ السِّنِينَ إنْ لَمْ نَقُلْ بِقُرُونٍ.

كُلُّ هَذَا جَعَلَ جَوَانِبَ مِنْ حَيَاةِ أَبِي سُفْيَانَ غَامِضَةً، وَلَمْ يَقْبَلِ النَّاسُ مِنْ حُسْنِ إِيمَانِهِ، وَجِهَادِهِ، بَلْ رَدُّوا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلاَمُ يَجُبُّ كُلَّ مَا كَانَ قَبْلَهُ» دُونَ أَنْ يَدْرُوا.

وَتُوُفِّيَ أَبُو سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلاَ هَمَّ لَهُ إِلَّا العِبَادَةَ رَاجِياً مِنَ اللَّهِ تَكْفِيرَ مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ، وَمَا اسْتَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَعْمَالٍ.